وهو حديث جندب لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة
على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف
عنده منها كما تعلمون أنتم القرآن ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل
الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ولا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يوقف
عنده منه ينثره نثر الدقل وهذا الحديث يدل على أن المراد والمقصود في القرآن الائتمار بالأوامر
والانتهاء عن الزواجر التي جعلت حدوده مفترض ومسئول عنه العبد ومعاقب عليه وليس
حفظ حروفه فريضة ولا عقاب على العبد إذا لم يحفظه وسعة منه قال الله عز
وجل إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا أي العمل به ثقيل وأما يسرناه للذكر ومن ذلك الـ
خبر المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم
ولا تنال به جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وفي بعضها إذا اختلفتم فقوموا عنه

وحدثني شيخ فاضل

قرأت عليه القرآن قال قرأت القرآن في
على شيخ في فلما ختمت رجعت إليه لأقرأ ثانية فقال جعلت القراءة علي الأدب
ما قرأ على الله عز وجل فانظر ما يسمعك منه وما يفهمك عنه وقد كان من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لا يحفظ إلا الجزء والجزأين والسورة المعروفة وسورتين
وكان من يحفظ الجزء منه وهو السبع والبقرة والأنعام علماء فيهم وقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف صحابي عن ذكر فإن لم يحفظ القرآن كله
إلا ستة اختلف منهم في اثنين وقال بعضهم لم يكن جمعه من الخلفاء إلا ربعة أحد
وختم ابن عباس على أبي بن كعب وقرأ عبد الرحمن بن عوف على ابن عباس وقرأ عثمان بن
عفان على زيد بن ثابت وقرأ أهل الصفة على أبي هريرة وكلهم كان متبعا للأوامر مجتنبا
للزواجر عالما بما فيها وقال يوسف بن أسباط وقد قيل له إذا ختمت القرآن
بأي شيء تدعو قال بأي شيء أدعو أستغفر الله عز وجل فإني مرة من تلاوتي
وكان يقول إني لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى
التسبيح والاستغفار واعلم أن للعبد في تلاوة القرآن حسبما لله من تعظيمه
والفهم له والمشاهدة منه والمعاملة به لأنه من أكبر شعائر الله في خلقه وأعظمه إذا نشر
في أرضه الدالة عليه وأسبغ نعمه الكاملة علينا وللعبد من التعظيم له بقدر تقواه
وله من فهم الخطاب وتعظيم الكلام نحو ما أعطي من معرفة المتكلم وهيبته وإجلاله
فإنما أعظم المتكلم في قلبه وكبر في عينه أعظم تدبر كلامه وأطال الفكرة في خطابه والحنين إليه
وذكره على قلبه واسم عن تذكره عند النازلة به والحاجة إليه فاتقى وحذر ولذلك قال
سبحانه واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وقال كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون
ولعلهم يتذكرون ولأن كل الكلام موقوف على قائله يعظم بتعظيمه ويقع في القلب بعلوه وكأنه

أو يهون

أو يهون لسهولة تلاوته فالله عز وجل ليس كمثله شيء في العظمة والسلطان وليس
ككلامه كلام في الأحكام والبيان وقرأت في نسخة الجبتي من التوراة فإذا فيها يا عبدي أما
تستحيي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق و
تقعد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته إليك
انظر كم وصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه
أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل
وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت
إليه أن كف وها أنا مقبل عليك ومحدثك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك
من بعض إخوانك وكما قال وإنما خف القيام على أهل الليل لنعيم الخطاب وثقل على
أهل النوم لا تعقلوا الغفلة عن الوقوف وشدة الحجاب كما قال تعالى ثقلت في السموات
والأرض ثم قال لا يأتيكم إلا بغتة أي خفي علمها يعني الساعة ثقلت عليهم فسمي ما خفي علمه ثقيلا

الفصل التاسع عشر فيه كتاب ذكر الجهر بالقرآن وما في ذلك من النيات

وتفصيل حكم الجهر والإخفات روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل
قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على العلانية وفي لفظ آخر الجاهر
بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل
عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا وفي مثله من العموم خير الرزق ما يكفي
وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضهم على بعض بالقراءة بين المغرب والعشاء
وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد
العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب إلى هذا
المصلي فمره أن يخفض من صوته فقال الغلام إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب
فرفع سعيد صوته وقال يا أيها المصلي إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض
صوتك وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا قال فسكت عمر وخفف
ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة وعلى ذلك وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسمع جماعة من أصحابه يجهرون بالقرآن في صلاة الليل فيصوب لهم
ذلك ويسمع الجهر وقد أمر بالجهر فيما روي عنه إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته
فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته ومر رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ثلاثة من أصحابه في الليل مختلفي الأحوال فمنهم من كان يخافت وهو أبو بكر

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)